

التداولية: علاقتها بالعلوم الأخرى وتطبيقاتها بغيرها من المجالات

نور الوحدة*

nurulwahdahplk@yahoo.com

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة اللغة التي تركز الانتباه على المستعملين و سياق استعمال اللغة بدلاً من التركيز على المرجع، أو الحقيقة، أو قواعد النحو. هي التداولية التي تدرس استعمال اللغة في السياق. فاهتماماتها على دراسة العلاقة بين المتكلم والمستمع بكل ما يعتري هذه العلاقة من ملاسبات وشروط مختلفة، حيث تدرس كل العلاقات بين المنطوقات اللغوية وعمليات الاتصال والتفاعل. الجملة الواحدة يمكن أن تعبر عن معاني مختلفة أو مقترحات مختلفة من سياق إلى سياق. فالتداولية أصبحت من أكثر المناهج اللسانية القادرة على التحليل اللغوي على السياق من جوانبها سواء أكان من جانب الإشارات (*Diectics*) والافتراض المسبق (*Presupposition*) والاستلزام الحواري (*Conversational Implicature*) أم من الأفعال الكلامي (*Speech Acts*). وللتداولية علاقات بالعلوم الأخرى كمثل اللسانيات البنوية و علم الدلالة والأسلوبية و علم اللغة الاجتماعي و علم اللغة النفسي وتحليل الخطاب و اللسانيات النصية والنحو الوظيفي والحجاج. ولذلك تجاد تطبيقات التداولية في عدة المجالات وهي في علم اللغة التطبيقي والتفاعل بين الإنسان والآلة و الاتصال وجها لوجه و الاتصال على البعد.

الكلمات الأساسية: التداولية، السياق، جوانب التداولية، علاقات التداولية، تطبيقات التداولية

أ. التمهيدي

لا قيمة للمفردات أو العبارات بعيدة عن سياقها، فلا بد من دراسة المفردات والعبارات التي يوجهها المتكلم داخل السياق، ومن خلال الظروف المحيطة به، ومن خلال زمان ومكان التخاطب، لكي تتضح مقاصد المتكلم والمعاني المطلوب إيصالها للمخاطب والتي يرمي إليها المتكلم. وكل هذه الأمور تهتم بها الدراسة التداولية، وتهتم أيضاً بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تبث عبر وسائل الاتصال، فيستعمل المتكلم عدة طرق للإقناع والتأثير والأمر

* محاضرة في الجامعة الإسلامية الحكومية بالبنكرايا

والإخبار (بوقره، نعمان، ٢٠٠٦: ٨٣). وفي ضوء هذا التصور تحاول المقاربة التداولية لإجابة مجموعة من الأسئلة المهمة مثل: ماذا نصنع حين نتكلم؟ ماذا نقول بالضبط، حين نتكلم؟ من يتكلم إذن؟ وإلى من يُتكلم؟ ولأجل من؟ ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة، أو أخرى؟ وكيف نتكلم بشيء، ونريد شيء آخر؟ وهل يمكن أن نركن إلى المعنى الحرفي لقصدٍ ما (أرمينكو، فرانسواز، ١٩٨٦: ٧). وهذا الفرع الذي يعني بالتخاطب يهتم بدراسة كيفية انتقال المعنى ليس فقط على المعرفة اللغوية بين متكلم ومستمع بل على أساس سياق الكلام المنطوق وسياق الاستقبال والمعرفة بوضع المشاركين في التخاطب. وكذلك بقصد المتكلم وظروف الكلام (بشري البستاني، ٢٠١٢: ١٢). ويفهم عند هذا الحد بأن التداولية هي تستدعي القرار الاستمولوجي، القاضي بأبعاد الكلام من الحقل اللساني بحكم كونه ظاهرة فردية محضة. وعلى عكس ذلك، تعد التداولية استطالة لسانية أخرى، للسانيات التلفظ (سمير شريف أستيتية، ٢٠٠٨: ٢٨٩).

رأى د. جميل الحمدوي أن ترجمة كلمة *Pragmatics* بعدة كلمات في اللغة العربية، منها: الذرائعية والتداولية و البراكمانية والوظيفية والاستعمالية والتخاطبية و النفعية والتبادلية. و الراجح عندنا هو التداولية لأنها مصطلحة شائعة بين الدارسين في ميدان اللغة واللسانيات من جهة، ولأنها تحيل على الفاعل والحوار والتخاطب والتواصل بين الأطراف المتلفظة من جهة أخرى (جميل الحمدوي، www.alukak.net).

وقد استطاع عدد من الباحثين أن يقدموا تعريفات كثيرة للتداولية ليس منها تعريف سليم من المآخذ عليه وقد يناقض بعضها بعضاً. من هذه التعريفات: أ) التداولية هي دراسة الأسس التي نستطيع أن نعرف لم تكون مجموعة من الجمل شادة تداولياً؛ ب) التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفة *Fungsional Perspective*. وهو نوع من التعريف يحاول أن يوضح جوانب التركيب اللغوي بالإحالة إلى أسباب غير لغوية؛ ج) التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تحملها النظريات الدلالية. فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعني بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليها هذه الشروط، وقصر علم الدلالة على هذا النوع من الأقوال غير مسلم به في النظريات الدلالية التي ظهرت منذ العقد الثامن من القرن العشرين فضلاً عن أن ما وراء ذلك لا يمكن حصره (محمود أحمد نحلة، ٢٠٠٢: ١٢). وعموماً تعريف التداولية أنها مجموعة من البحوث المنطقية اللسانية، وهي كذلك الدراسة التي تعني باستعمال اللغة وتهتم بقضية التلائم بين التعابير الرمزية والسياقات المرجعة والمقامية والحديثية والبشرية (فيليب بلانشية، ٢٠٠٧: ١٨).

ان التداولية علم تواصلية معاصر، يعالج كثيراً من ظواهر اللغة ويفسرها ويساهم في حل مشاكل التواصل ومعوقاته ومما ساعدها على ذلك انها مجال رحب يستمد معارفه من مشارب مختلفة (علم الاجتماع - علم النفس المعرفي - اللسانيات - علم الاتصال - الاثنوبولوجيا - الفلسفة التحليلية..). وبالتالي تستند التداولية على كثير من مكاسب المعرفة الانسانية المختلفة، مما اكتسبها طابع التوسع و الثراء (شوقي مصطفى الموسوي، ١٠/٩).

ب. نشأة التداولية

إن نشأة التداولية توافقت تقريباً مع نشأة العلوم المعرفية. ولقد جرى التفكير في الذكاء الاصطناعي في سياق عقلية جديدة هي العقلية التي مكنت من ظهور العلوم المعرفية. يمكن بدايات هذا البرنامج المعرفي إلى الخمسينات من القرن العشرين وبالتحديد إلى سنة ١٩٨٦ وإلى أولى مقالات شومسكي Chomsky، وميلر Miller، و نيوال Newell، و سيمون Simon، و مينسكي Minsky، و مال كولوك McCulloch. ويمكن إرجاع نشأة التداولية إلى سنة ١٩٥٥ عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفرد ضمن برنامج "محاضرات وليام جايمس" (آن روبر و جاك موشلار، ٢٠٠٣: ٢٧-٢٨).

لقد سارت التداولية منذ ذلك الوقت في اتجاهين هما: الدراسات اللسانية و الدراسات الفلسفية. ففي الاتجاه الأول استعملت التداولية بوصفها جزءاً من السيميائية اللسانية وليس بعلاقتها بأنظمة العلامات عموماً. ولا يزال هذا المنحى اللساني قائماً لحد الآن في اللسانيات الأوربية، أما في الدراسات الفلسفية وخصوصاً في إطار الفلسفة التحليلية، فقد خضع مصطلح التداولية إلى عملية تضيق في مجاله. قد كان للفيلسوف و المنطقي كارناب دوره، فقد ساوى بين التداولية و السيميائية الوصفية. تم في أواخر الستينات تبني تعريف كارناب ضمناً في الدراسات اللسانية: تتطلب الدراسات إلى إشارة لمستعملي اللغة - وخصوصاً في حركة الدلالة التوليدية. بيد أن الدراسات التي استندت إلى كارناب اتسعت كثيراً لتشمل دراسات من خارج اللسانيات مثل دراسات فرويد ويونغ عن (زلات اللسان) و (تداعي الكلمات). وظهرت الحاجة إلى تطوير وتوسيع تعريف كارناب بالإشارة إلى أكثر من مستعملي اللغة؛ ينبغي أن تكون هناك إشارة إلى مكان و زمان حدوث الكلام. وهنا يجب إدخال مفهوم السياق إلى تعريف كارناب للتداولية. والسياق يتضمن هويات المشاركين في الحدوث الكلامي والحدود الزمانية و المكانية و المعتقدات ومقاصد المشاركين. لقد كان تعريف موريس محفزاً و سبباً للنهوض بمجموعة من الدراسات التي تضمنت دراسة الظواهر النفسية و الاجتماعية الموجودة داخل أنظمة العلامات بشكل عام أو

داخل اللغة بشكل خاص، ودراسة التصورات التجريدية التي تشير إلى الفاعلين أحد مفاهيم كارناب)، ودراسة المفردات التأشيرية والدراسات الانكولو أمريكية في اللسانيات وفلسفة اللغة. وهناك مجموعة من الأسباب تقف وراء الاهتمام بالتداولية مؤخراً. بعضها تأريخي وبعضها غير ذلك؛ فقد بدأ الاهتمام بها باعتبارها ردة فعل على معالجات جومسكي للغة بوصفها أداة تجريدية أو قدرة ذهنية قابلة للانفصال عن استعمالاتها ومستعملاتها، والسبب الآخر هو التوصل إلى قناعة مفادها أن المعرفة المتقدمة بالنحو والصوت والدلالة لم تستطع التعامل مع ظواهر معينة ذات أهمية بالغة، و يمكن اعتبار الادراك المتزايد بوجود فجوة بين النظريات اللسانية من جهة ودراسة الاتصال اللغوي من جهة أخرى سبباً آخر في الاهتمام بالتداولية. ومن الأسباب الأخرى، اتجاه معظم التفسيرات اللسانية لتكون داخلية بمعنى أن السمة اللغوية تُفسر بالإشارة إلى سمة لغوية أخرى أو إلى جوانب معينة من داخل النظرية، وظهرت الحاجة إلى تفسير ذي مرجعية خارجية وهنا ظهرت الوظيفة اتجاهها مهدداً للتداولية. يمكن تقسيم التداولية العامة إلى اللسانيات التداولية و التداولية الاجتماعية فالأولى يمكن تطبيقها في دراسة الهدف اللساني من التداولية - المصادر التي توفرها لغة معينة لنقل أفعال إنجازية معينة - والثانية تعنى بالشروط والظروف الأكثر محلية المفروضة على الاستعمال اللغوي وهو حقل أقل تجريداً من الأول. فالتداولية تدرس المعنى في ضوء علاقته بموقف الكلام (عادل الثامري، <http://www.iraqnl.org/>).

وقد ذهب محمد العمري في كتابه "البلاغة العربية" إلى أن التداولية الحديثة بعد جاحظي في أصله لاهتمام الجاحظ وتركيزه على هذا المستوى في كتابه "البيان والتبيين" وعلى عملية التأثير في المتلقي، والإقناع، وقد سميت هذه النظرية عنده، والتي تعرف اليوم بـ"التداولية" بـ نظرية "التأثير والمقام". يقول محمد العمري: إن هذا البعد هو أحد الأبعاد الأساسية في البلاغة العربية، وهو بعد جاحظي في أساسه، وإن تخلي البديعيين عنه في مرحلة لاحقة أدى إلى اختزال البلاغة العربية وتضييق مجالها، وتحظى نظرية التأثير والمقام حالياً بعناية كبيرة في الدراسات السيميائية، ومن ثم الشروع في إعادة الاعتبار إلى البلاغة العربية تحت عنوان جديد هو "التداولية" (محمد العمري، ١٩٩٩: ٢٩٣).

وتتحلى جذور التداولية عند الجاحظ من خلال تقسيمه للبيان إلى ثلاث وظائف، واهتمامه أكثر بالوظيفة التأثيرية، التي تمثل جانباً مهماً في التداوليات الحديثة، يقول الجاحظ: أما بعد، يمكن إرجاع وظائف البيان، اعتماداً على كل ما سبق إلى ثلاث وظائف أساسية هي:

١. الوظيفة الإخبارية المعرفية التعليمية (حالة حياد، إظهار الأمر على وجه الإخبار قصد الإفهام).
٢. الوظيفة التأثيرية (حالة الاختلاف) تقديم الأمر على وجه الاستمالة وجلب القلوب.

٣. الوظيفة الحجاجية: (حالة الخصام) إظهار الأمر على وجه الاحتجاج والاضطرار (أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، ١٩٧٥: ٧٥).

فكل هذه الوظائف تشكل جوهر النظرية التداولية في الدراسات المعاصرة باعتبارها مقارنة تهم بالتواصل في الدرجة الأولى، والإقناع، والتأثير، وإيصال المعنى، وتقديم الفائدة، ومنه فإن غايتها منفعية بحتة.

د. أهمية التداولية و مميزاتاها

تظهر أهمية التداولية من حيث إنها تهتم بالأسئلة الهامة والإشكالات الجوهرية في النص. لأنها تحاول الإحاطة بالعديد من الأسئلة من قبيل: من يتكلم، وإلى من يتكلم. وتتلخص مهام التراجماتية في ما يلي: دراسة استعمال اللغة فهي لا تدرس البنية اللغوية ذاتها ولكن تدرس اللغة حين استعمالها في اللطبقات المقامية المختلفة أي باعتبارها كلاما محمدا صادرا من متكلم محدد وموجها إلى مخاطب محدد بلفظ محدد في مقام تواصل محدد لتحقيق غرض تواصل محدد:

١. شرح كيفية جريان العمليات الاستدلالية في معالجة الملفوظات
٢. بيان أسباب أفضالية التواصل غير المباشر وغير الحرفي على التواصل الحرفي المباشر
٣. شرح أسباب فشل المعالجة اللسانية البنيوية الصرفية للملفوظات
٤. لا يمكن أن نفهم طبيعة اللغة نفسها فهما حقيقيا ما لم نفهم التراجماتية، كيف تستعمل اللغة في الاتصال (بلبع عيد، ٢٠٠٥: ٣٦).

تتميز التداولية عن غيرها من اتجاهات البحث اللغوي بما يأتي:

١. التداولية تقوم على دراسة الاستعمال أو هي لسانيات الاستعمال اللغوي، وموضوع البحث فيه هو توظيف المعنى اللغوي في الاستعمال الفعلي.
٢. ليست للتداولية وحدات تحليل خاصة بها ولا موضوعات مترابطة.
٣. التداولية تدرس اللغة من وجهة وظيفية عامة (معرفية، اجتماعية، ثقافية)
٤. تعد التداولية نقطة التقاء مجالات العلوم ذات الصلة باللغة بوصفها وصلة بينهما وبين لسانيات الشروة اللغوية.
٥. لا تنتمي التداولية إلى أي مستوى من مستويات الدرس اللغوي، صوتيا كان صرفيا أم نحويا أم دلاليا لذلك فالأخطاء التداولية لا علاقة لها بالخروج القواعد الفنولوجية أو النحوية أو الدلالية وهي ليست مستوى يضاف إلى هذه المستويات لأن كلا منها يختص بجانب محدد ومتماسك من جوانب اللغة، وله أنماطه التجريدية و وحداته التحليلية.

٦. لا تنطوي التداولية تحت علم من العلوم التي لها علاقة لا تقتصر التداولية على دراسة جانب محدد من جوانب اللغة بل من الممكن أن تستوعبها جميعا وليس لها أنماط تجريدية ولا وحدات تحليل.

٧. باللغة، بالرغم من أنها تتداخل معها في بعض جوانب الدرس (محمود أحمد نخلة، ٢٠٠٢: ٩).

ج. جوانب دراسة التداولية

١. الإشارات (*Diectics*)

إن الإشارات هي الكلمات التي تشير إلى أو تحدد فردا معينا أو مكانا معينا من بين مجموعة متجانسة من الأفراد أو الأمكنة وترتبط ارتباطا وثيقا بسياق المتكلم، مثل قول رجل لآخر: "سأنتظر هنا غدا". فالكلمة "هنا" في الجملة السابقة تشير إلى مكان الأفعال الكلامية، وكذلك كلمة "غدا" تشير إلى يوم بعد يوم الأفعال الكلامية (Kushartanti dkk, 2007:111).

إن الإشارات مثل أسماء الإشارة، وأسماء الموصول، والضمائر، وظروف الزمان والمكان؛ من العلامات اللغوية التي لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب؛ لأنها خالية من أي معنى في ذاتها، لذلك فقد كان العرب سابقاً يطلقون عليها المبهمات (بلع، عيد، ٢٠٠٥: ٤١) الإشارات هي تلك الأشكال الإحالية التي ترتبط بسياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه (عبد الهادي بن ظافر الشهري، ٢٠٠٤: ٨١).

هنا خمس أنواع الإشارات وهي الإشارات الشخصية و الإشارات المكانية والإشارات الزمانية و الإشارات الخطابية والإشارات الاجتماعية (P.W.J Nababan, 1984: 40)، التي سنتحدثها فيما يلي:

أ) الإشارات الشخصية:

وتشمل ضمائر المتكلم، والمخاطب، والغائب، فهذه الضمائر عناصر إشارية، لأن مرجعها يعتمد اعتماداً تاماً على السياق الذي تستخدم فيه (نخلة، محمود أحمد: ١٨).

مثل: أنا نعسان. فالسياق هو الذي يحدد إحالة الضمير (أنا).

ولا بد في الإحالة من تحقق شرط الصدق فلو قالت امرأة: أنا أم نابليون. فليس بكاف أن يكون مرجع الضمير هو تلك المرأة بل لا بد من التحقق من مطابقة المرجع للواقع، بأن تكون هذه المرأة هي أم نابليون فعلاً، وأن تكون الجملة قيلت في الظروف التاريخية المناسبة. وقد ينشأ نوع من اللبس في استخدام الضمائر، إذا تعدد الأشخاص فيؤدي هذا إلى تعدد في إحالات الضمائر، مثل: دخل خالد القاعة فرأى بكرةً جالساً ورآه بكر فابتسم له وصافحه.

فإن إحالة الضمير في (ابتسم) و(صافحه) فيها نوع من اللبس في أنها يمكن أن تعود على خالد أو على بكر (المتوكل، أحمد: ١٤٤).

ب) الإشارات الزمانية:

هي كلمات تدل على زمان يحدده السياق بالقياس إلى زمان التلفظ، فإذا لم يعرف زمان التكلم أو مركز الإشارة الزمانية التبس الأمر على السامع أو القارئ. فإذا وجدنا إعلاناً: ستبدأ التخفيضات الأسبوع القادم. فإننا إذا لم نعلم زمن الخطاب (الإعلان) فإننا لا نعرف هل التخفيضات ستبدأ، أم مضى الأسبوع وبدأت التخفيضات، كما إننا لا نستطيع تحديده على وجه الدقة إذا لم نعلم وقت الإعلان تماماً. وقد تستغرق الإحالة إلى الزمن المدة الزمنية كلها كأن يقال اليوم الاثنين، وقد تستغرق مدة محددة من الزمان، كأن يقال ضرب زيد عمراً يوم الخميس، فالضرب يستغرق جزء من اليوم. وقد يتسع مدى بعض العناصر الإشارية إلى الزمان فيتجاوز الزمان المحدد له عرفاً إلى زمان أوسع فكلمة اليوم في قولنا بنات اليوم تشمل العصر الذي نعيش فيه، ولا يتحدد بيوم مدته أربع وعشرون ساعة. وكل ذلك موكول إلى السياق الذي تستخدم فيه هذه العناصر الإشارية إلى الزمان (عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٧٤).

ج) الإشارات المكانية:

وهي كلمات الإشارة نحو هذا وذاك للإشارة إلى قريب أو بعيد من مركز الإشارة المكانية، وكذلك هنا وهناك من ظروف المكان التي تحمل معنى الإشارة إلى قريب أو بعيد من المتكلم وسائر ظروف المكان مثل: فوق، وتحت، إمام، وخلف (نحلة، محمود أحمد، ٢٠٠٢: ٢٢). وهذه العناصر الإشارية إلى الأماكن تعتمد في استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم وقت التكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب أو السامع، ويكون لتحديد المكان أثره في اختيار العناصر التي تشير إليه قريباً أو بعداً أو وجهة. ولا نستطيع تفسير هذه الألفاظ الإشارية إلا إذا وقفنا على ما تشير إليه بالقياس إلى مركز الإشارة إلى المكان، فهي تعتمد على السياق المادي المباشر الذي قيلت فيه (الشهري: ٨٥). فلو قال شخص: أحب أن أعمل هنا.

فهو يعني: في هذا المكتب، أو في هذه المؤسسة، أو في هذا المبنى، أو في هذه القرية، أو في هذه الدولة... فكلمة هنا تعبير إشاري، وإن كان يشير إلى شيء قريب من المتكلم إلا إنه قد يكون بعيداً عن المخاطب، فلا يمكن تفسيره إلا بمعرفة المكان الذي يقصد المتكلم الإشارة إليه (محمود أحمد نحلة: ٢٢).

وتتعدد المسألة إذا كان المخاطب لا يرى المتكلم، مثلاً حين يصف شخص لصديقه مكانه عبر الهاتف: تقع الجامعة على يميني. فبالرغم من اكتمال الخطاب لغة، وبالرغم من معرفة المرسل إليه بموقع الجامعة، إلا أنه يصعب معرفة موقع المرسل بالتحديد، فلا يقدر على ذلك إلا إذا استطاع أن يعرف اتجاه سير المرسل (عبد الهادي بن ظافر الشهري: ٨٤).

(د) الإشارات الخطابية:

هناك إشارات للخطاب تعد من خواص الخطاب وتتمثل في العبارات التي تذكر في النص مشيرة إلى موقف خاص بالمتكلم مثل: ومهما يكن من أمر، لكن، بل، فضلاً عن ذلك، من ثم... وهذه الإشارات قد تلبس بالإحالة إلى سابق أو لاحق (نحلة، محمود أحمد: ٢٤). وقد تستعار إشارات الزمان والمكان لتستخدم إشارات للخطاب فكما يقال: الأسبوع الماضي يمكن أن يقال: الفصل الماضي من الكتاب أو الرأي السابق، أو يقال: هذا النص وتلك القصة.

(هـ) الإشارات الاجتماعية:

وهي ألفاظ وتراكيب تشير إلى نوع العلاقة الاجتماعية بين المتكلمين والمخاطبين، من حيث هي علاقة رسمية أو علاقة غير رسمية، أي علاقة صداقة أو ألفة. والعلاقة الرسمية يدخل فيها صيغ التبجيل في مخاطبة من هم أكبر سناً ومقاماً من المتكلم، أو مراعاة للمسافة الاجتماعية بينهما فتشمل الألقاب، فخامة الرئيس، جلالة الملك، سمو الأمير، والسيد والسيدة. أما العلاقة غير الرسمية فتشمل النداء بالاسم المجرد (نحلة، محمود أحمد: ٢٤).

٢. الافتراض المسبق (*Presupposition*)

يقصد بالافتراض المسبق *Pressuposition* هنا هو المعلومات الإضافية الكامنة في المنطوقات (Abdul Chaer dan Leoni Agustina, 2010: 59). في كل تواصل لساني ينطلق الشركاء ومعطيات وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم. تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة. الأمثلة فيما يلي:

(أ) ففي ملفوظ ١ مثلاً: اغلق النافذة، وفي ملفوظ ٢ مثلاً: لا تغلق النافذة. في الملفظين كليهما خلفية "افتراض مسبق" مضمونها أن "النافذة مفتوحة"

(ب) في مقام تواصل معين يقول الشريك أ في الحوار للشريك ب: كيف حال زوجتك وأولادك؟ فالافتراض المسبق للملفوظ هو أن "الشريك متزوج له أولاد"، وأن الشريكين أ و ب تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال. يجب الشريك ب بالملفوظ "إنها بخير والأولاد في العطلة"

شكراً". ولكن إذا كان الخلفية التواصلية غير مشتركة بين شريكين، فإن الشريك يرفض السؤال أو يتجاهله، فيجب بأحد الملفوظات الآتية: لا أعرفك، لست متزوجاً، لقد طلقت زوجتي (مسعود صحراوي: ٣١).

(ج) والملفوظ "كم عمرك ابنك الأصغر؟" فهذه العبارة تقضي أن المسؤول أبناء أكثر من واحد (Abdul Chaer dan Leoni Agustina: 59)

٣. الاستلزام الحواري (Conversational Implicature)

يعد الاستلزام الحواري واحداً من أهم الجوانب في الدرس التداولي، فهو الصقبة بطبيعة البحث فيه، وأبعادها عن الالتباس بمجالات الدرس الدلالي، وعلى الرغم من ذلك، فليس له -خلافاً لكثير من موضوعات البحث التداولي- تاريخ ممتد، إذ ترتفع نشأة البحث فيه إلى المحاضرات التي دعى جريس H.P.Grice وهو فلاسفة أكسفورد المتخصصين في دراسة اللغة الطبيعية إلى إلقائها في جامعة هارفرد سنة ١٩٦٧.

لقد عمد جريس أحد المنظرين للبراجماتية إلى إيضاح الاختلاف بين ما يقال وما يقصد، فما يقال هو: ما تعنيه الكلمات والعبارات بقيمتها اللفظية، وما يقصد هو: ما يريد المتكلم أن يبلغه السامع على نحو غير مباشر، اعتماداً على أن السامع قادر على أن يصل إلى مراد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال. ونتيجة لهذا كان يفرق بين المعنى الصريح وبين ما تحمله الجملة من معنى متضمن فنشأت عنده فكرة الاستلزام (محمود أحمد نحلة: ٣٢-٣٣).

ورأى جريس أن الاستلزام نوعان: استلزام عرفي و استلزام حوارى. فالاستلزام العرفي: قائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة من استلزام بعض الألفاظ دلالات بعينها لا تنفك عنها مهما اختلفت بها السياقات وتغيرت التراكيب. من ذلك (لكن) فهذا يستلزم أن يكون ما بعدها مخالفاً لما يتوقعه السامع. مثل: زيد غني لكنه بخيل. أما الاستلزام الحوارى: فهو متغير دائماً بتغير السياقات التي يرد فيها (محمود أحمد نحلة: ٣٢-٣٣). فحين يقال: كم الساعة؟ فإن مقصد المتكلم يختلف حسب السياق الذي وردت فيه الجملة، فقد يكون سؤالاً، وقد يكون توبيخاً للتأخر. فكان جريس مشغولاً في كيف يكون ممكناً أن يقول المتكلم شيئاً ويعني شيئاً آخر؟ ثم كيف يكون ممكناً أيضاً أن يسمع المخاطب شيئاً ويفهم شيئاً آخر؟ لذلك وضع جريس مفهوم (مبدأ التعاون) بين المتكلم والمخاطب، وهو مبدأ حوارى عام. يقول: "ليكن إسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه، أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار" (الشهري: ١٢١) وقد تفرع عن هذا المبدأ المبادئ التالية:

أ) مبدأ الكم: يجب أن يكون الحوار مناسب دون زيادة أو نقصان.

(ب) مبدأ الكيف: لا ينبغي قول ما هو غير صحيح، أو ما ليس فيه دليل عليه.

(ج) مبدأ المناسبة: مناسبة الكلام للموضوع.

(د) مبدأ الطريقة: أي الوضوح والتحديد مع تجنب الغموض، واللبس، والقيام بالإيجاز وترتيب

الكلام (آن روبرول وموشلار، جاك، ٢٠٠٣: ٥٤).

ويقترح جرايس ترميماً للعبارات اللغوية يقوم على المقابلات الآتية التي تنقسم الحمولة الدلالية للعبارة على أساسها إلى معان صريحة و معان ضمنية. فالمعاني الصريحة هي المدلول عليها بصيغة الجملة ذاتها وتشمل ما يلي: (أ) المحتوى القضوي: وهو مجموع معاني مفردات الجملة وضمون بعضها إلى بعض في علاقة إسناد، (ب) القوة الإنجازية الحرفية وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة بصيغة أسلوبية ما كالأستفهام والأمر والنهي و التوكيد والنداء والاثبات والنفي. والمعاني الضمنية وهي المعاني التي لا تدل عليها صيغة الجملة بالضرورة. ولكن للسياق دخلا في تحديدها والتوجيه إليها و تشمل ما يلي: (أ) معاني عرفية وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطاً أصيلاً وتلازم الجملة ملازمة في مقام معين مثل معنى الاقتضاء، (ب) معاني حوارية وهي التي تتولد طبقاً للمقامات التي تنجز فيها الجملة مثل الدلالة الاستلزامية (مسعود صحراوي: ٣٥).

وخرق مبادئ الحوار هو الذي يولد الاستلزام (المتوكل، أحمد، ١٩٨٦: ٩٥). فمثلاً حين تقول أم لولدها: أ تشعر بالنعاس؟ فيجيب: لا أرغب في تنظيف أسناني (روبول، آن وموشلار، جاك: ٦١). فلا نجد الطفل قد أجاب إجابة مناسبة على السؤال. ولكن ما الذي جعل الطفل يخرق هذا المبدأ، ويجيب إجابة غير مناسبة! و لكن وفق مبدأ التعاون فنجد الإجابة تستلزم رفض الطفل للنوم، لعدم رغبته في تنظيف أسنانه.

وللاستلزام الحوارية عند جرايس خواص تميزه:

(أ) الاستلزام ممكن إغاؤه، ويكون بإضافة قول يسد الطريق أمام الاستلزام أو يحول دونه، فإذا قالت قارئة لكاتب: لم أقرأ كل كتبك، فقد يستلزم ذلك عنده أنها قرأت بعضها، فإذا أعقبت كلامها بقولها، الحق أنني لم أقرأ أي كتاب منها، فقد ألغت الاستلزام (محمود أحمد نحلة: ٣٨).

(ب) الاستلزام لا يقبل الانفصال عن المحتوى الدلالي، أي إن الاستلزام الحوارية متصل بالمعنى الدلالي لما يقال، لا بالصيغة اللغوية التي قيل فيها بها، فلا ينقطع مع استبدال مفردات أو عبارات بأخرى ترادفها. فإذا قالت أخت لأختها: لا أريدك أن تصعدي لغرفتي على هذا النحو. فتقول الأخرى: أنا أمشي على أطراف أصابعي خشية أن أحدث ضوضاء. فعلى الرغم من تغير الصياغة في قول الثانية، فإن ما يستلزم القول من عدم الرضا عن هذا السلوك لا يزال قائماً (محمود أحمد نحلة: ٣٨).

ج) الاستلزام متغير، والمقصود بالتغير أن التعبير الواحد يمكن أن يؤدي إلى استلزمات مختلفة في سياقات مختلفة (محمود أحمد نحلة: ٣٩). فإذا قال شخص: كم يد لي، فقد يكون سؤالاً حين يوجه لطفل مثلاً، وقد يكون هذا السؤال يستلزم استنكار لما يوجه له من عمل. فيختلف الاستلزام حسب السياق الوارد.

د) الاستلزام يمكن تقديره، والمراد به أن المخاطب يقوم بخطوات محسوبة يتجه بها خطوة خطوة إلى الوصول إلى ما يستلزمه الكلام. فإذا قيل مثلاً: الملكة فكتوريا صنعت من حديد، فإن القرينة تبعد السامع عن قبول المعنى اللفظي، فيبحث عما وراء الكلام من معنى فيقول لنفسه: المتكلم يريد أن يلقي إلي خبراً بدليل أنه ذكر لي جملة خبرية، والمفروض أن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون أي أنه لا يريد بي خداعاً ولا تضليلاً، فماذا يريد أن يقول؟ لا بد أنه يريد أن يخلع على الملكة بعض صفات الحديد كالصلابة، والمتانة وقوة التحمل، وهو يعرف أنني أستطيع أن أفهم المعنى غير الحرفي، فلجأ لهذا التعبير (محمود أحمد نحلة: ٣٩).

وعلى الإجمال يبقى الاستلزام الحوارية من أبرز الظواهر التي تميز اللغات الطبيعية، على اعتبار أنه في الكثير من الأحيان يلاحظ أثناء عملية التخاطب، أن معنى العديد من الجمال إذا روعي ارتباطها بمقامات إنجازها، لا ينحصر فيما تدل عليه صيغها الصورية (العياشي أدراوي، ٢٠١١: ١٨).

٤. الأفعال الكلامية (*Speech Acts*)

يقصد بالأفعالية الكلامية هي القيام بعلمية إحداث الأصوات الكلامية لتكوين كلمات وجمل لنقل المشاعر والأفكار من المتكلم إلى السامع. وقد وجد أوستن (Austin). أحد فلاسفة اللغة المنظرين للتداولية. أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال، تعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، ولا يفصل أحدها عن الآخر كما نقلها خير و ليوني أجستينا (Chaer dan Agustitn, 1995: 68-69):

أ) الفعل اللفظي (*Locutionary Act*) وهو مجموع الأصوات والكلمات التي نسمعها عندما نقول شيئاً له معنى معيّن. يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح ينتج عنه معنى محدد وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.

ب) الفعل الإنجازي (*Illocutionary Act*) ويقصد به القيمة الاجتماعية للقول، أي كيف يفهمه الآخرون.

مثال:

قال أحدهم لآخر : "آسِف، لم أستطيع الحضورَ لظرفٍ طارئٍ"

- الفعل الصوتي : الجملة التي سمعناها وهي جملة خبرية.

- أثر الفعل : قد يقول المستمع: "لا بأس" أو "كنا نحب أن تكون معنا" أو "لقد افتقدناك" وقد يهز رأسه دون أن يقول شيئاً.

- الفعل المقصود : الاعتذار

(ج) الفعل التأثيري (*Perlocutionary Act*) ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع. مثال: "المكان بعيد"

وقد قدم searle تصنيفاً للأفعال الكلامية على أساس أفعالها الإنجازية *Illocutionary Acts*) إلى خمسة (Jhon R. Searle, 1980: 16):

(أ) الإخباريات *Assertives*: والغرض الإنجازي فيها هو نقل المتكلم واقعة ما من خلال قضية *Proposition* يعبر بها عن هذه الواقعة. , وأفعال هذا الصنف كلها تستعمل لصدق و الكذب. واتجاه كلمات فيها من الكلمات إلى العالم ويتضم هذا الصنف من أفعال معظم أفعال الأيضاح (محمود أحمد نحلة: ٨٩). وتقوم على الإعلان عن حكم تأسس على البداهة مثل: إخلاء الذمة، واعتباره كالوعد .

(ب) الإرشادات *Directives* : تقوم على إصدار قرار لصالح أو ضد سلسلة أفعال، مثل: أسس، وقاد، ودافع عن، وترجى، وطلب، وتأسف...إلخ.

(ج) الوعديات *Commissive* : ويلزم المتكلم بسلسلة أفعال محددة، مثل: وعد، وتمنى، والتزم بعقد، وأقسم...إلخ.

(د) العرضيات *Declaratives* : تستعمل لعرض مفاهيم، وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات وضبط مراجع، مثل: أنكر، أجب، أكد...إلخ.

(هـ) التعبيرات *Expressives* : يتعلق الأمر بردود فعل اتجاه سلوك الآخر، مثل: الاعتذار، الشكر، التهئة

د. علاقات التداولية بالعلوم الأخرى

١. اللسانيات البنيوية

هنا العلاقة بين التداولية واللسانيات البنيوية بحيث أن التداولية مكمل للبيوية لأنها تهتم بالكلام الذي هو غير اللسان المبعد من مجال دراسة علم اللسان في نظر دوسوسير وذلك حسب قوله: " اللغة تختلف عن الكلام في أنها شيء يمكن دراسته بصورة مستقلة" (فردينان دوسوسير، ١٩٨٥: ٣٣) ومعنى هذا أن اللسانيات البنيوية تهتم أساساً بدراسة نظام اللغة دون الإعتداد بنوايا المتكلم و لا بسياق الكلام، ويذهب كذلك إلى عد اللغة ظاهرة اجتماعية . واللغة حسب هذا التعريف ما هي إلا نظام يمثل في الأصل الذاكرة الجماعية ، لما يحتويه من

علامات لا يستطيع الفرد أن يحتزنها في دماغه، وإنما تتكامل بضم جماعة من الأفراد يربطهم لسان موحد ولذلك قيل إن اللغة توجد على شكل معجم ت قريباً، حيث تكون النسخ المتماثلة موزعة بين جميع الأفراد (أحمد مومن، ٢٠٠٥: ١٢٣). اللغة إذن كنز جماعي من الوحدات والقوانين التي لا يمكن للفرد أن يجيد عنها، وأما التغيرات التي تطرأ عليها، فهي نتاج التغيرات التي يحدثها الأفراد في الكلام.

غير أن ما ينبغي التنبيه إليه في هذا الصدد هو أن حصر التداولية في مفهوم لسانيات الكلام قد يحصر حدود التداولية، زيادة على أن الكلام ليس معزولاً عن اللغة إلا افتراضاً لأن هذه الأخيرة لا تتحقق إلا في مستوى الكلام؛ أي أن الكلام مظهر من مظاهر تحقق اللغة، و هنا تبرز جليا العلاقة بينها مما يحتم اللجوء إلى دراسة متكاملة للظاهرة اللغوية ببعديها الاجتماعي والفردية، ولعل صعوبة التمييز بين ما هو بنيوي، وما هو تداولي واضحة هنا لأن السانيات علم يشتمل على عدد كبير من النظريات المترابطة بما فيها النظريات التداولية، فإذا أردنا أن نحلل جملة ما تداوليا لا بد لنا أن نعتد قبل ذلك بنيتها اللغوية (ياسطة ظريفة، ٢٠٠٩/٢٠١٠: ١٤).

وعلاقة هذا الاستعمال بالأفراد الناطقين للغة يعد من صميم البحث التداولي، ذلك أن التداولية: هي إيجاد القوانين الكلية للاستعمال اللغوي، والتفوق على القدرات الإنسانية للتواصل البشري وتصير التداولية من ثم جدية بأن تسمى علم الاستعمال اللغوي. ولذلك عدت التداولية لسانيات كلام، في مقابل لسانيات اللغة التي أرسى دعائمها "دوسوسير" في محاضراته.

٢. علم الدلالة

هو يشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته. ونتيجة لتنامي الاهتمام بالتفاعل بين المعنى والاستعمال ظهرت اتجاهات حديثة تحاول أن تؤلف بينها (محمود أحمد نحلة: ١٠) أن اشتراك كل من التداولية والدلالة في موضوع دراسة المعنى يضيف كثيرا من الغموض حيال تحليل المعنى الذي تؤديه اللغات.

٣. الأسلوبية

هي تحلل النصوص الأدبية، تصف أدبيتها وتبين الخواص الفنية الموجودة في الجماليات الكلامية، فهي تقف عند حدود التشخيص والوصف الفني، ولا تقف على أغراض القائل المقامية، ولا تنبني الاستراتيجيات الخطائية للنص على ما هو قول كما تفعل ذلك التداولية. لقد اقتصر التداوليون على المعنى المقامي، واعتبروه عمدة التفسير، وانكب الأسلوبيون على

المعنى اللغوي. رغم أن الأسلوبية والتداولية كلاهما منهج من مناهج تحليل الخطاب، فإذا كانت الأسلوبية تقف عند حدود جمالية القول، فإن التداولية تنظر في قيمة القول خارج العالم الساني أي هي تنظر إلى البعد العملي للقول (صابر الحباشة، ٢٠١١: ١٢). وإذا نظرنا إلى أدوات التحليل التداولي ألفيناها أقرب إلى المنطق، والمنطق يتخذ من القول العادية، والأقوال المصطنعة مدونة له. أما الأسلوبية فتتناول في الغالب تحليل الخطابي، ومن ثمة فإن التداولية والأسلوبية تتخذان مدونتين متنافرتين عن التطبيق. وهذه أهم أوجه المماثلة والتشاكل بين هذين الأسلوبية والتداولية.

٤. علم اللغة الاجتماعي

وهو يشارك التداولية في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المشاركين في الحديث، والموضوع الذي يدور حول الكلام ومرتبة كل من المتكلم والسامع و جنسه وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها.

٥. علم اللغة النفسي

وهو يشارك مع التداولية في الاهتمام بقدرات المشاركين التي لها أثر كبير في أدائهم مثل الانتباه والذاكرة والشخصية. ويتضح ذلك في المثال التالي: يقول أمين حين دخل الغرفة: "الجو ليس ساخنا هنا" فتقوم فاطمة بإغلاق إحدى النافذتين لأن أمين أصابه تيار هوائي لا يشعر بالحرارة. فإجابة فاطمة تعتمد على جانب شخصيتها وتستند إلى سرعة البديهة، وحدة الانتباه وقوة الذاكرة الشخصية والذكاء وبعض جوانب الطبع (خليفة بوجادي، ٢٠٠٩: ١٣٢).

٦. تحليل الخطاب و اللسانيات النصية

وهو يشارك مع التداولية في الاهتمام أساسا بتحليل الحوار ويقتسمان عددا من المفهومات الفلسفية واللغة كالتريقة التي توزع بها المعلومات في جمل أو نصوص والعناصر الإشارية والمبادئ الحوارية (محمود أحمد نحلة: ١١).

في ظل زحمة الركام المعرفي الناتج عن كثرة الأبحاث، ورواج المفاهيم ذات الاستهلاك الواسع، تداخلت المصطلحات والمفاهيم، وتاه معها المختص والمبتدئ، وأصبح لا يعي ما يستخدم وما يوظف من مصطلحات ومفاهيم فقد: يسمع مصطلح اللسانيات فيظن أنها العلم الصارم الذي يدرس اللغة دراسة علمية. وقد يسمع بمصطلح الأسلوبية، فيعتقد أنها ذلك العلم الذي يصنع منهجية صارمة في دراسة الظاهرة الأدبية، ويرمي إلى تخلص النص الأدبي عموما، والخطاب خصوصا من الأحكام المعيارية والدوقية.

وقد يصادف مصطلح النص ومصطلح الخطاب فيظن أن النص هو الخطاب، والخطاب هو النص، ولتوضيح ذلك نقول أن الخطاب لا يولد إلا بين الناس في توجههم إلى بعضهم البعض، أي في مخاطبتهم، فهو بهذا يختص بالجانب المنطوق من اللغة وتعود نشأة هذا المفهوم إلى "فردينان دوسوسي ر" في محاضراته التي كان يلقيها على طلبته، حين ميز بدقة بين اللغة والكلام، بعده الكلام نتاج كامل يصدر عن وعي وإرادة الأشخاص، أو هو ذلك السلوك اللفظي اليومي الذي له طابع الفوضى والتحرر، فهو بهذا المعنى يقع خارج المؤسسة اللغوية، أو يولد خارج النظام، ليهتم بعد ذلك بالشق الأول من الثنائية) لسان/كلام (ملغيا الشق الثاني منها، هذا الإلغاء نفسه الذي حفز الباحثين ودفعهم إلى الاهتمام والبحث في هذا الموضوع بدءاً من "شارل بالي" و"جاكوبسون"، "فتشومسكي" وصولاً إلى "رولان بارث" و"ميخائيل باختين" لتتغير بذلك الثنائية السوسيرية السابقة وتصطبغ بمسميات جديدة فصارت (الجهاز، والنص/ *systeme, texte*) عند يلمسليف و (القدرة، والإنجاز/ *compétence, performance*) عند تشومسكي، وهي عند جاكوبسون (السنن، والرسالة *code, message*) و عند بارث (اللغة، والأسلوب *langue style*). وبهذا صار ما كان هامشياً عند "دوسوسير" مهماً عند هؤلاء الدارسين. كل هذه الاهتمامات توحي بأن الخطاب هو: الكلام، أو هو كل ما هو منطوق بعبارة أخرى، أما النص فهو ما يطلق على كل متتالية من الجمل ترتبط فيما بينها بعلاقة أو على وجه التحديد تكون بين بعض عناصر هذه الجمل علاقات كأن يرتبط عنصر من جملة بعنصر وارد في جملة سابقة أو لاحقة لها، أو بين عنصر ومتتالية كاملة سابقة أو لاحقة (محمد خطابي، ٢٠٠٦: ١٣).

وإذا كان هذا هو مفهوم النص، فإن الخطاب أيضاً سلسلة من الجمل المنطوقة، وهكذا لا يكاد يختلف الخطاب عن النص، وإن تجاوزه أكثر للدلالة على الاستعمال والاستخدام الفعلي للغة، بكونه ليس مجرد سلسلة لفظية بما قوانين لغوية، فهو كذلك يهتم بالظروف المقامية (أحمد المتوكل، ٢٠٠١: ١٦). وهكذا إذن توسع مجال اللسانيات النصية بتجاوزه دراسة الخطأ ببعده نصاً إلى ربطه بالظروف المقامية والسياقية التي ورد فيها، وهذا من صميم البحث التداولي.

٧. النحو الوظيفي

يعد النحو الوظيفي أهم رافد للدرس التداولي، إلى جانب الفلسفة والنظريات اللسانية الحديثة، بل إن من الدارسين من جعل الوظيفية في معناها تقابل التداولية، من مبدأ أن خصائص البنيات اللغوية تتحدد من ظروف استعمالها، وإذا عد تداول اللغة مظهراً من

مظاهرها إلى جانب المعجم والتراكيب فإنه يمكن القول: إن النحو الوظيفي وهو يحدد أهدافه في تحقيق كفاية نفسية، كفاية تداولية، وكفاية نمطية، يقدم دعائم هامة للتفسير التداولي للخطاب (خليفة بوجادي: ١٢٦).

وقد رأس دعائم هذا النحو الباحث الهولندي "سيمون ديك" من خلال كتابه "النحو الوظيفي" (*functional grammar*) والذي ضم مجموعة من الأبحاث مست مجال الدلالة والتداول والمعجم والتركيب في لغات مختلفة، وبذلك أسس لنظرية لسانية احتلت مكانة علمية متميزة بين النظريات اللسانية المعاصرة بصفة عامة، والنظريات النحوية على وجه الخصوص، بحيث أصبحت الوريث الشرعي للنظريات النحوية الوظيفية، ونموذجاً أكثر توسعاً من النظرية النحوية التوليدية. ولا يخفى على أي باحث في مجال التداولية أو النحو الوظيفي ما قدمه الدكتور "أحمد المتوكل" من بحوث في هذا المجال من خلال رسوخ قدمه في التراث اللغوي العربي، وحسن استيعابه للنظريات اللغوية الحديثة، مكنت من إغناء الدراسات النحوية العربية بمصطلحات حديثة تكاملت في إطار نظرية رشحت أكثر من غيرها لتكون رؤية معاصرة للنظرية النحوية القديمة ومكملة لأسس البحث في هذا المجال اللغوي (ياسطة ظريفة: ١٦). وهذا النحو الذي أسسه "سيمون ديك" وطوره "أحمد المتوكل" بالشرح والتفسير كما سبق الذكر يجمع بين المقولات النحوية، وبين ما عرضه نظرية أفعال الكلام ولذلك يمكننا القول أن النحو الوظيفي بمثابة نظرية موسعة تكامل فيها النحو واللسانيات التداولية.

٨. الحجاج

ينتمي النص الحجاجي إلى مجال التداولية وإن الخطاب الحجاجي ينطوي على البعدي التداولية بمستوياته المختلفة وهي: (أ) على مستوى أفعال اللغة، المتداولة في الحجاج هناك الأفعال العرضية والتي تستعمل حسب أوستين لعرض مفاهيم وبسط موضوع، وتوضيح استعمال كلمات، مثل: أكد، أنكر، اعترض، وهب (حفناوي بعلي: ٦٣)؛ (ب) على مستوى السياق، هناك أدوات تضيفي السمة الحجاجية على مخاطب ما مثل: أجيب، استنبط؛ (ج) على المستوى الحوارية، فإن أساس الحجاج هو الحوارية. ولقد ذهب الأستاذ طه عبد الرحمن إلى الاعتقاد بأن الحوارية تنقسم إلى الحوار والمحاورة والتحاور. وكل منها يخضع لمنهج حجاجي وآلية خطابة (محمود أحمد نحلة: ٢٥).

هـ. تطبيقات التداولية غيرها من المجالات

للتداولية تطبيقات محتملة في جميع المجالات التي تنطوي على كيفية فهم المنطوقات. وتضم هذه المجالات بعض المجالات التي لا تُعني بصورة مباشرة بالمشكلات العملية، مثل دراسة البلاغة والأدب. غير أن هذه المجالات تضم أيضاً مجالات تهتم بصفة أساسية بحل مشكلات الاتصال، وهي المجالات التي يحتل أن تكون تطبيقات البراجماتية فيها ذات أهمية عملية مباشرة. وهناك أربعة مجالات على وجه الخصوص تبدو واعدة في هذا المضمار، وهي (١) علم اللغة التطبيقي (أي النظرية الخاصة بتعلم اللغات الأجنبية أو الثانية، والممارسات الخاصة بها) (٢) التفاعل بين الإنسان والآلة؛ (٣) دراسة صعوبات الاتصال في التفاعل وجهها لوجه؛ (٤) دراسة صعوبات الاتصال التي تنشأ عندما لا يكون الاتصال وجهها لوجه. وفي هذه المجالات الأربع، فإن تطبيقات البراجماتية تُعَدُّ بالحد من مشكلات الاتصال. وسوف نتناول كلا من هذه التطبيقات واحدة بعد الأخرى.

١. علم اللغة التطبيقي:

يقوم تطبيق التداولية على مشكلات تعلم اللغة الأجنبية أو الثانية على افتراض مؤداه أنه بالرغم من العالمية المحتملة لعمليات مثل التضمين *implicature*، فإنه من المحتمل أن تكون هناك فروق ذات مغزى ليس فقط في بنيات اللغات ولكن في استخداماتها أيضاً. وحتى في الحالات التي تكون فيها سمات عالمية مشتركة كامنة في الاستخدام، كما يبدو أنه الحال بالنسبة للتعبير المهذبة، فإن هناك مجالاً واسعاً لسوء التفاهم بين أشخاص ينتمون إلى ثقافات مختلفة. فعلى سبيل المثال، فإن المتحدثين بالألمانية يبدون أكثر مباشرة بصورة ملحوظة من المتحدثين بالإنجليزية مثلاً حينما يتعلق الأمر بالطلبات أو بالتعبير عن الشكوى. ومن هنا فهناك مجال لدراسة نظامية للبراجماتية التقابلية، التي تحدد المجالات المحتملة لسوء التفاهم والتي تنشأ من افتراض المتعلم للغة أجنبية أن تراكيب معينة في اللغة التي يتعلمها سوف يكون لها نفس التضمينات *implicatures*، والافتراضات المسبقة *presuppositions*، والاستخدامات في المحادثة، مثل بعض التراكيب الشبيهة بها في لغته الأصلية. وهناك الكثير من الأبحاث تجري حالياً حول مثل هذه الموضوعات (محمد عفيف الدين دمياطي، ٢٠١٠: ٥٦).

وفي ما يتصل بتعليم اللغة المسماة "أجنبية" واكتسابها، يمدنا علم المواضيع السياقي بتوضيح للظواهر الموجودة بين الثقافات وللمواضع الاجتماعية و لتنسيب التداخلات، فضلاً عما رأيناه مما هو أحرى بأن يكون ضروريا فيما يتعلق بكفاءات لغة أخرى.

قد بين جونز Rhian Jones في دراسته "بعض الحوارات بين المعلم و التلاميذ" أن تصرف المعلم اللغوي الذي يكون قليل الضمنيات ولا يتسم بالصبغة الحكيمة بل يكون سلوكيا ينقل ملفوظات التلاميذ غالبا مكان فرد ملفوظه عليهم مثل هذا التصرف اللغوي للمعلم يؤدي إلى

سلوك خطابي وعرفاني ناشط من قبل التلاميذ. ويكون ذلك السلوك محتويا على نسبة عالية من الملفوظات الحجاجية ومن عرض الأفكار ومن شرح للتواصل ومن استدلالات، وبالعكس فإن التلاميذ يواجهون خطاب المعلم الذي يحتوي كثيرا من الضمنيات ويكون خطابا حكيميا، يواجهون ذلك بسلوك أقل نشاطا المستوى الخطابي والمعرفي (فيليب بلانشية، ٢٠٠٧: ١٨٧).

في عملية التعليم يستخدم المعلم كلام التداولية كما بينه رينا و محمد رحمدي و رحينا في نتيجة دراستهم عن التداولية حيث بأن المعلم يستخدم كثيرا الملفوظات التداولية في عملية التعليم وهي الإخباريات كمثال التقرير و التذكير، والإشارات كمثال الطلب، والوعديات كمثال إعطاء الوعد، و التعبيرات كمثال إعطاء المدح، والعرضيات كمثال إعطاء النهي (Rina Yuliana, (Muhammad Rohmadi, dan Raheni Suheta, 2013: 13).

أساسا على دراسة التداولية في عملية التعليم، أن الملفوظات التداولية مطبقة كثيرا في عملية اتعليم. والمتعلمون يواجهون كثيرا بالكلام الذي يطلب منهم أن يفهموا معاني فيه سياقاً.

٢. التفاعل بين الإنسان والآلة:

في مجال التفاعل بين الإنسان والآلة (أي دراسة الصعوبات التي يمر بها الإنسان في تعامله مع الحاسبات الإلكترونية)، فإن للبرامجياتية أيضا تطبيقات مباشرة. وتنشأ المشكلات في هذه الحالة من الحاجة إلى المزيد والمزيد من العاملين ذوي الخبرة بأجهزة الحاسبات الإلكترونية حتى يمكنهم استخدامها بنجاح. وإذا استطاع مبرمجو الحاسبات الإلكترونية أن يجعلوا اللغة المشتركة بين الآلة والإنسان تعمل بمقتضى أسس شبيهة باللغات الطبيعية وقواعد استخدامها، فإن عصر الحاسب الإلكتروني لن يكون بحاجة إلى انتظار إعادة تعليم القوى العاملة وهو أمر بالغ الضخامة. ولكن تجنب هذا الانتظار يتطلب تحليلاً مسبقاً لخصائص استخدام اللغات الطبيعية، وهو المجال الذي تعدّ التداولية بتقديم بعض العون فيه.

٣. الاتصال وجهها لوجه:

كما أن هناك أيضا المساهمات التي يمكن للتداولية تقديمها لحل مشكلات الاتصال بين البشر الذين يتكلمون (تقريباً) اللغة نفسها. فعلى سبيل المثال، فإنه من الممكن أن تقع حالات سوء تفاهم بين الجماعات ذات الانتماءات العرقية المختلفة، وذلك نتيجة للتحليلات التداولية المختلفة للمنطوقات التي يكون محتواها الحرفي مفهوماً تماماً. إذ إن توجيه الأسئلة أو الاستجابات أو التلميحات، إلخ ربما لا يتم تفسيرها بصورة صحيحة.

والمثال الآخر التداولية والأدب. إن الكتابة الأدبية تلتحق بإطار التواصل، ومن ثم بإطار التلفظ و حتى بالتلفظ المشترك. ويهتم التحليل الأدبي في إطار علم المواضيع السياقي بالعناصر

الإشارية والروابط وحالات التبادل السنني والتصرفات في الإحالة الداخلية (داخل النص) والمشارك الدلالي.

ويبدو أن نمط النص الذي استأثر باهتمام التداوليين والذي يظهر أن التحليل التداولي له مفيد، هو النص المسرحي. ويتسم النص المسرحي في الواقع بالتلفظ مزدوج ومتزامن. الكاتب يتواجه إلى الجمهور بواسطة نصه، الشخصيات تتواجه إلى بعضها بعضاً باستخدام النص. فضلاً عن ذلك تتواجه الشخصيات بالجمهور بطريقة غير مباشرة. والجمهور كما عرفه غوفمان هو ذلك "الأشخص" ذو الحضور الأكيد.

التداولية اليوم هي مقارنة من مقاربات النص الأدبي. لها آفق داخلي تضطر سائر المقاربات إلى الانخراط فيه. فالمهم ليس أن نكون مع التداولية أو ضدها في التحليل الأدبي ولكن علينا بالآخرى أن نحدد أن صنف من التداولية نستخدم، ولكن علينا مع ذلك أن نحذر من مغبة الارتداد إلى التصورات للنص سابقة للبنوية. وكما تستثمر التداولية في دراسة الخطاب العربي. ينبغي أن نحدد مسلكها وقد حفر به مزلقان أحدهما النزعة النفسية والآخر النزعة الشكلية. وسواء تعلق الأمر بالتداولية أو بأي تصور آخر للغة، فإننا نجد أنفسنا إزاء معضلة. هل نعامل الآثار الأدبية بوصفها جنساً من الملفوظات كسائر الأجناس أن إننا نضعها على حدة. والحال أنها ملفوظات ليس كسائر الملفوظات من جهة، وهي من جهة أخرى لست ملفوظات خارجة عن قوانين اللغة (فيليب بلانشية: ١٩٧).

وتماشياً مع هذا التطور الطارئ على الدراسات الأدبية الحديثة فقد ركزت التداولية على سمة الأدب الاتصالية انطلاقاً من أن الاتصال عموماً لا يكتمل دون أخذ الأدب وسياقه في الاعتبار. كما أن دراسات الأدب لا تكتمل دون الأخذ في الاعتبار توظيف لأدب لمصادر الاتصال المختلفة. إن أبعاد هذا الطرح لا شك مثيرة، فالأدب لم يعد نصاً مغلقاً أو بنية شكلية معزولة عن سياقها، بل إن هذا الاتجاه أعاد إلى الدرس الأدبي الصلة القديمة بين الخطابة والشعرية. ولهذا فإن الدراسة الذرائعية / التبادلية للأدب تسعى إلى اكتشاف التقنيات العلمية في النص (الإيجاء، والافتراض المسبق، والإقناع)، وربطها بالقوى الخارجية في عالم الكاتب والقارئ، مثل علاقات القوى والتقاليد الثقافية وأنظمة النشر والتوزيع والرقابة، وهلم جرا. ويبقى التركيز في كل هذا على صلات الاتصال والتفاعل الخاصة والدقيقة الفعلية (ميجان الرويلي وسعد البازعي، ٢٠٠٠/٣ : ١٦٩).

٤. الاتصال على البعد:

وأخيراً، فإن هناك مشكلات اتصال مألوفة تنشأ عندما يتصل البشر ببعضهم البعض وقد تباعدوا في المسافة أو الزمن ، عن طريق الرسائل المسجلة أو المكتوبة .وتكمن المشكلة في أن اللغات الطبيعية مبنية ، إذا جاز هذا القول ، على افتراض التخاطب وجها لوجه ، ولذا فإن الكلمات الإشارية *deictic terms / words* يمكن أن تتعرض لخطأ التفسير عندما لا يتوافر هذا الشرط الخاص بالتخاطب وجها لوجه. وقد تكون الاعتبارات التحليلية مفيدة للغاية في تصميم التعليمات ذات الأهمية القصوى (مثل التعليمات على الطرق ، أو لعمال صيانة الطائرات، إلخ)، أو في الاستبيانات ، وغيرها من الاستخدامات العملية للغة المكتوبة. كما أنها قد تفيد أيضاً في تصميم البرامج الخاصة لتعليم الأشخاص الذي يعانون من صعوبات في اكتساب المهارات المتعلقة بتعلم القراءة والكتابة.

وكمثال آخر، فإن مشكلات مثيرة للاهتمام تنشأ عندما لا يمكن لأخذ الدور في المحادثة أن يعمل بصورة سليمة، كما هي الحال في الاتصالات عن طريق اللاسلكي، أو التلكس، أو إرسال الرسائل عن طريق النهايات الطرفية للحاسبات الإلكترونية. وتتمثل فائدة البراجماتية في إمكان تصميم بدائل للممارسات العادية. ولقد ظهر مؤخراً فقط احتمال تقديم نصائح أو حلول مبنية على دراسة كافية يمثل هذه الأمور البسيطة نسبياً والمهمة في الوقت نفسه، وهي نصائح مبنية على الدراسة التفصيلية لاستخدام اللغات الطبيعية (محمد عفيف الدين دمياطي، ٢٠١٠: ٥٦-٦٠).

ز. الاختتام

يعد السياق أحد أهم المتركات التي تستند عليها اللسانيات التداولية في دراستها للغة أثناء الاستعمال. فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها والتنظير لها منذ القدم. يؤدي السياق دوراً هاماً في كشف مقاصد المتلفظ بالخطاب و توضيح نواياه الظاهرة والخفية من أجل إفادة السامع معنى يتوخاه من خطابه وكان السياق مجالات معرفية متعددة تتوزع عبر فضاءات معرفية ما هو متربط بالمتكلم والمتلقى وشروط الإنتاج اللغوي والزمان والمكان. فالمقام مظهر بارز من المظاهر التداولية يتم من خلاله مراعاة قصد المتكلم وغرضه وحال السامع وما يحيط بهما من ظروف و أحواله.

المراجع

- إبراهيم، إبراهيم مصطفى. ١٩٩٩. *تقد المذاهب المعاصرة*. الإسكندرية: دار الوفاء.
- أرمينكو، فرانسواز. ١٩٨٦. *المقاربة التداولية*. ترجمة: سعيد علوش، الرباط، مركز الإنماء القومي.
- الرمولي، ميجان و البازعي سعد. ٢٠٠٠. *دليل الناقد الأدبي*. الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- الشهري، عبد الهادي. ٢٠٠٤. *إستراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية*. بيروت: دار الكتاب الجديد.
- المتوكل، أحمد. ١٩٨٦. *دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي*. الدار البيضاء: دار الثقافة.
- بقره، نعمان. ٢٠٠٦. *التصور التداولي للخطاب اللساني عند ابن خلدون*. مجلة الرافد، يناير.
- دمياطي، محمد عفيف الدين. ٢٠١٠. *علم اللغة الاجتماعي، سورابايا: مطبعة دار العلوم اللغوية*.
- روبول، آن وموشلار، جاك. ٢٠٠٣. *التداولية اليوم، ترجمة: سيف الدين دغفوس و محمد الشيباني*. بيروت: دار الطليعة
- نخلة، محمود أحمد. 2002 *أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الأسكندرية: دار المعرفة*
- Chaer, Abdul dan Agustina, Leoni. 2010. *Sociolinguistik Perkenalan Awal*. Jakarta: Rineka Cipta.
- Kushartanti dkk. 2007. *Pesona Bahasa, Langkah awal Memahami Linguistik*. Jakarta: PT. Gramedia.
- Nababan, P.W.J. 1984. *Sociolinguistik Suatu Pengantar*. (Jakarta: PT Remaja Rosdakarya.
- Sami A. Hanna and other. 1997. *Dictionary of Modern Linguistics; English-Arabic*. Beirut: Libraire du Libnan.